



Al-Yemenia University Journal
مجلة الجامعة اليمنية

معالم من عقيدة المسلم في محاربة الغزو الثقافي الحديث والمعاصر

د. عبدالعزيز علي مفتن الورقي

أستاذ العقيدة والفكر الإسلامي المساعد

كلية التربية - جامعة حجة

ملخص الدراسة:

هذا البحث بعنوان: معالم من عقيدة المسلم في محاربة الغزو الثقافي الحديث والمعاصر، استخدمت فيه المنهج (الوصفي) القائم على الاستقراء والاستدلال والاستنباط والتحليل العلمي، ويتكون من: مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، وقائمة بأهم المصادر والمراجع. وقد بينت - في التمهيد - مفهوم الغزو الثقافي. وأما المبحث الأول، فقد تحدثت فيه وبينت منع المداهنة بالعقيدة في حوار وحدة الأديان المختلفة، حيث أوردت آراء العلماء المتقدمين والمتأخرين، وأدلتهم. والمبحث الثاني، أوضحت فيه إظهار عدالة الإسلام، وصلاحيته بسلامة العقيدة الإسلامية، مستشهداً بالأدلة والبراهين. وأما المبحث الثالث، فقد بينت فيه توظيف وسائل التكنولوجيا الحديثة؛ لمحاربة الغزو الثقافي المعاصر، إذ إن هذه الوسائل تعتبر لسان المجتمع في الإسهام في إصلاحه إذا استخدمت استخداماً موافقاً للعقيدة الإسلامية الصحيحة. وأما المبحث الرابع، فقد تناولت فيه بيان الغاية من وجود الإنسان في الحياة الدنيا. إذ أوردت كلام أهل العلم واستدلالاتهم، من الكتاب والسنة، مبيناً وظيفة الإنسان في هذا الوجود. ثم اختتمت البحث بأهم النتائج والتوصيات، وقائمة أهم المصادر والمراجع، لتكتمل بذلك الصورة العامة لموضوع البحث. والله الموفق.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد ظهرت طرائق فكرية معاصرة، يروج لها الحاقدون على تراث ثقافة الأمة الإسلامية؛ من أجل خدمة أعداء الأمة الإسلامية، وإفساد أجيالها لمحاربة عقيدة المسلم، عن طريق وسائل الغزو الثقافي في التعليم، وكذا وسائل الإعلام بكل أصنافها.

ومما لا شك فيه: أن العقيدة الإسلامية، هي الأساس الذي يجب الاهتمام به علما وعملا؛ لتكون الأعمال صحيحة ومقبولة عند الله، لأنها هي التي تحدد سلوك الإنسان وتثير عقله وقلبه، والإنسان المجرد عن العقيدة فاقد للقيم الروحية، إنسان ضائع لا قيمة له.

ومن هنا فإن العقيدة الصحيحة، هي التي تحارب الأفكار المعادية للإسلام، ولا يجوز المداينة أو التنازل عنها، وأي عقيدة دونها فهي باطلة؛ لأن العقيدة الصحيحة هي التي من أجلها أرسلت الرسل، وانقسمت الخليفة فيها إلى مؤمن وكافر.

وإدراكاً من الباحث بأهمية الموضوع، فقد وسمنا بحثنا هذا بـ (معالم من عقيدة المسلم في محاربة الغزو الثقافي والحديث والمعاصر لتحسين عقيدة المسلم من الأفكار المعاصرة الهدامة)

أولاً.. أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

- 1- الإسهام في التأصيل الشرعي لخدمة العقيدة الإسلامية.
- 2- المحافظة على العقيدة الإسلامية، من التيارات الفكرية المعادية للإسلام.
- 3- بيان أن عقيدة المسلم هي التي دعت إليها الرسل، فلا تقبل المداينة والتجزؤ.
- 4- محاولة الرد على المغرضين والحاقدين لتشويه الإسلام والمسلمين.
- 5- بيان أن شريعتنا الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان.
- 6- إثراء المكتبة الإسلامية بكل نافع وجديد.

ثانياً.. أهداف البحث:

- 1- إيجاد المجتمع المسلم القوي المتمسك بعقيدته، وبذل الروح والمال في الدفاع عنها.
- 2- بيان معالم ومرتكزات العقيدة في محاربة الغزو الثقافي الحديث.
- 3- الوقوف على ضوابط وأحكام عقيدة المسلم في محاربة تشويه الإسلام وأهله.

4- الوصول إلى تصور نظري وتطبيقي لمنهج العقيدة في حماية أفراد الأمة.

ثالثاً.. مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة البحث في التساؤل الآتي:

- 1- ما هو منهج العقيدة في محاربة الغزو الثقافي الحديث والمعاصر؟
- 2- وكيف ينظر القرآن وعلومه والعقيدة الإسلامية إلى موضوع محاربة الغزو الثقافي الحديث والمعاصر؟

رابعاً.. حدود البحث:

يقتصر نطاق البحث على أهم المعالم والمراكز العقيدية في محاربة الغزو الثقافي الحديث والمعاصر.

خامساً: الدراسات السابقة للبحث:

هناك بحوث ومسائل تطرقت إلى موضوع العقيدة، ولكنها من جوانب مختلفة ومتفرقة. وبعد البحث في المكتبات العامة والخاصة، لم أقف على بحث مستقل في هذا الموضوع؛ ليعالج مفرداته ويسد الثغرة فيه، ويخرج برؤية شرعية، تسهم في إصلاح الفرد والمجتمع في الواقع المعاصر.

سادساً.. منهج البحث:

إن المنهج الذي يراه الباحث - والذي يحقق أهداف بحثه - هو المنهج الوصفي، القائم على الاستقراء والاستدلال والاستنباط والتحليل العلمي.

سابعاً.. خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى:

مقدمة، وتمهيد، وخاتمة، إذ تضمنت المقدمة، أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث، ومشكلته، وحدوده ومنهجه، وخبطته.

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى تمهيد، تم فيه بيان مفهوم الغزو الثقافي الحديث والمعاصر.

وأما الأربعة المباحث فهي على النحو الآتي:

المبحث الأول: منع مداينة عقيدة الإسلام في حوار وحدة الأديان المختلفة.

المبحث الثاني: إظهار عدالة الإسلام وصلاحيته بسلامة العقيدة الإسلامية.

المبحث الثالث: توظيف الطرائق الشرعية والوسائل الحديثة لمحاربة الغزو الثقافي المعاصر.

المبحث الرابع: بيان الغاية من وجود الإنسان في الحياة الدنيا.

تمهيد

مفهوم الغزو الثقافي

المسألة الأولى.. مفهوم الغزو لغة واصطلاحاً:

أولاً.. معنى كلمة الغزو لغة: يراد بها السير إلى مقاتلة العدو في دياره، والتغلب عليهم، وقهرهم، والانتصار عليهم (1)

ثانياً.. المراد بكلمة الغزو اصطلاحاً: السعي لخلق عقيدة جديدة لدى المسلمين، معتمدة ومركزة على الفكر الغربي الأجنبي في الحياة والإنسان (2)

ومن خلال النظر إلى المعنى اللغوي والاصطلاحي: نجد أن كلمة (غزا) تدور حول مهمة الذهاب والسير والسعي نحو قتال العدو، كما نجد أن كلمة (غزا) اصطلاحاً أشمل وأوسع من المعنى اللغوي.

ومما نجده: أن كلمة الغزو الثقافي ظهرت وتم تداولها في العصر الحديث والمعاصر. وأما في الأزمنة والعصور الماضية فلم تعرف. بل نجد في هذا العصر أنها ظهرت بأوسع ظهور، وبأنواع وألوان مختلفة ومتعددة مما يعرف باسم الغزو: العسكري، والأخلاقي، والاجتماعي، والثقافي.. والغزو الثقافي هو الذي بحثنا يتعلق به، وهو يعتبر أهم غزو؛ لأنه يهدف إلى غزو العقول والسيطرة عليها وتحريفها. وإذا ضعفت العقول ضعفت الشعوب، وأصبحت خاضعة لكل القوى القوية الطامعة في عقيدتها وأخلاقها وأوطانها.

وهذا هو الهدف من الغزو الثقافي في ديار المسلمين: السيطرة عليها حتى تصبح مجردة من عقيدتها وإرادتها، بل تستمد رأيها وتفكيرها من غيرها.

المسألة الثانية.. مفهوم الثقافة لغة واصطلاحاً:

أولاً.. تعريف كلمة ثقافة لغة: مأخوذة من ثقف يثقف الشيء ثقفاً بمعنى حذق، ورجل حاذق فهم، ويقال: ثقف فلان ثقافة صار حاذقاً فطناً، ويقال: ثقف الشيء وهو سرعة تعلمه وفهمه.

وقد جاءت كلمة ثقف - في القرآن - بمعنى الظفر بالعدو وأسره. قال تعالى (فإِذَا تَنَقَّضُوهُمْ فِي الْحَرْبِ) (3) أي: تظفر بهم وتنتصر عليهم (4)

(1) انظر: المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، مادة: غزا، (ص123) ط1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، 1996م. وينظر:

ندوة المرصد اللغوي العربي للمصطلحات الموحدة، ط1، جمعية الدعوة الإسلامية العامة، طرابلس، ليبيا، 2010م.

(2) تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، محمد الغزالي، (ص190)، ط6، دار الشروق، 2007م. ومباحث في الفكر والثقافة الإسلامية،

محمد عز الدين، (ص133)، ط1، 2010م، جمعية الدعوة الإسلامية العامة، طرابلس، ليبيا. والوافي في الثقافة الإسلامية، د. أحمد علي

يعقوب، ص (6 - 8)، ط6، صنعاء الدائري، مركز المتفوق للطباعة والنشر والتوزيع، 2017م.

(3) سورة الأنفال، (57).

(4) لسان العرب، لابن منظور، (72/2)، باب ثقف، والمصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، (188).

ويتضح لنا من خلال التعريف اللغوي: أن كلمة ثقافة تأتي بمعنى الحذق، والفتنة، وسرعة الفهم والإدراك والتعلم.

ثانياً.. ويقصد بالثقافة اصطلاحاً: جملة العلوم والمعارف التي يتطلب الحذق فيها. أو أن يعرف الإنسان شيئاً عن كل شيء. كما إن كلمة الثقافة لها المدلول المادي والمعنوي في اللغات الأوروبية، إلا أنه في عصر النهضة العلمية الأوروبية، أصبح لفظها يطلق على الفنون والآداب (1)

والعلماء والباحثون قد اختلفوا اختلافاً كثيراً في تعريفهم للثقافة والمفاهيم المرتبطة بها، إلا أن الثقافة الإسلامية قد حظيت بالاهتمام، ما جعل لها تعريفات متعددة متقاربة المعنى (2)

مما سبق من المعنى الاصطلاحي: أنها علم دراسة التصورات والمستجدات المتعلقة بالإسلام والمسلمين، كما يراد بالمعارف والفنون والآداب والأساليب ونحوها.

كما نفهم - من خلال تعريف الثقافة - أن كلمة ثقافة إذا أطلقت فيراد بها: الجانب الفكري والمعرفي والأدبي، كما إن لها إطلاقات متعددة النواحي.

المبحث الأول:

منع مداهنة عقيدة الإسلام في حوار وحدة الأديان المختلفة

أولاً.. مفهوم المداهنة لغة:

المداهنة: المصانعة، وقيل: إظهار خلاف ما يضر كالإدهان؛ ومنه قوله تعالى: {وَدُّوا لو تَدْهَنَ فَيَدْهِنُونَ} (3)

وقال الفراء: يعني ودوا لو تكفر فيكفرون.

وجاء في قوله تعالى: {أَفْبَهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ} (4)، أي مكذبون، ويقال: كافرون (5)

ثانياً.. مفهوم المداهنة اصطلاحاً:

(1) ينظر: نحو ثقافة إسلامية أصيلة، عمر سليمان الأشقر، (ص13). ط2، دار النفائس الأردن، 2002م. وأصول التربية الإسلامية، سعيد

إسماعيل علي، (28)، ط1، 2005، دار السلام، مصر.

(2) الوافي في الثقافة الإسلامية، د. أحمد يعقوب،

(3) سورة القلم: 9.

(4) الآية السابقة نفسها.

(5) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية، (41/35)، مختار الصحاح، محمد بن

أبي بكر بن عبد القادر الرازي، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت. الطبعة طبعة جديدة، 1415 - 1995، تحقيق: محمود خاطر،

(218/1).

عرفها الجرجاني: "المداهنة هي أن ترى منكرا وتقدر على دفعه، ولم تدفعه حفظا لجانب مرتكبه أو جانب غيره أو لقلّة مبالاة في الدين"⁽¹⁾

وجاء في معجم الفقهاء: "المداهنة: بضم الميم من داهن، ترك إنكار المنكر؛ إجلالا لصاحبه وتقربا منه"⁽²⁾

والمداهنة: تعني ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومصانعة الكفار والعصاة من أجل الدنيا، والتنازل عما يجب على المسلم من الغيرة على الدين. ومثل الاستئناس بأهل المعاصي والكفار ومعاشرتهم وهم على معاصيهم، أو كفرهم وترك الإنكار عليهم مع القدرة عليه⁽³⁾ قال الله تعالى: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} {كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} {تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَقُولُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا} (4)

ومن خلال التعريفين اللغوي والاصطلاحي: يتضح لنا أن المداهنة تأتي بمعنى المصانعة، واللين، وترك الدين وإنكار المنكر.

والفرق بين المداراة والمداهنة: أن المداراة بذل الدنيا لصالح الدنيا أو الدين، وهي مباحة ومستحسنة في بعض الأحوال، والمداهنة المذمومة المحرمة هي بذل الدين لصالح الدنيا⁽⁵⁾

أدلة حرمة المداهنة في التنازل عن العقيدة:

تعددت الأدلة من القرآن الكريم في تحريم المداهنة، ومنها ما يأتي:

1- قال تعالى {ودوا لو تدهن فيدهنون}⁽⁶⁾ فقد فسر علماء اللغة المداهنة في الآية بمعنى "ودوا لو تلين في دينك فيلينون"⁽⁷⁾ وبمعنى "ودوا لو تصانعهم في الدين فيصانعوك"⁽⁸⁾

وعليه فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان مأمورا بالصدع بإظهار العقيدة الصحيحة، وعدم المصانعة في إظهار العقيدة الصحيحة في وجه العقيدة الباطلة، وعبادة الأوثان التي اتخذوها من دون الله عز وجل.

(1) التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، 1405، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (265/1).

(2) معجم لغة الفقهاء. (418/1).

(3) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، الطبعة: الأولى، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف = والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، تاريخ النشر: 1421هـ، (315/1)، مصدر الكتاب: موقع الإسلام

(4) المائدة: 78 - 80.

(5) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم - للقاضي عياض، للقاضي عياض، (80/3). المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم (573/6)

(6) سورة القلم: آية: 9

(7) تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت - 2001م، الطبعة: الأولى، تحقيق:

محمد عوض مرعب، (116/6)

(8) لسان العرب: ابن منظور، الناشر: دار صادر - بيروت، (160/13)

وعليه فإن من فعل شيئاً من ذلك فهو آثم، سواء فعله مجاملة أو تودداً أو حياءً أو لغير ذلك من الأسباب؛ لأنه من المداينة في دين الله، ومن أسباب تقوية نفوس الكفار وفخرهم بدينهم⁽¹⁾

ومما نجد هنا حوار وحدة الأديان، الذي يهدف إلى إزالة الفوارق والاختلافات العقائدية والشعائرية بين المتحاورين، وتمييع خصائص الأديان وتجاوزها اتجاه وحدة الأديان والتقريب بينها، وهي دعوة قديمة متجددة ترعاها مؤسسات الغزو الثقافي الأجنبي، من مختلف الملل والنحل المعادية للعقيدة الصحيحة.

2- قوله تعالى {وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا} (2) قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: لا تدهنوا. وقال العوفي، عن ابن عباس: هو الركون إلى الشرك.

وقال أبو العالية: لا ترضوا أعمالهم⁽³⁾

وقال ابن جرير، عن ابن عباس: ولا تميلوا إلى الذين ظلموا وهذا القول حسن أي: لا تستعينوا بالظلمة؛ فتكونوا كأنكم قد رضيتم بباقي صنيعهم، قال تعالى {فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ} (4) أي: ليس لكم من دونه من ولي ينقذكم، ولا ناصر يخلصكم من عذابه.

3- قوله تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (5) وقال ابن كثير: في تفسير هذه الآية "مخبراً بانحصار الدين المتقبل عنده في الإسلام، قال تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} (6)

والإيمان بوجود الله ووحدانية، والانقياد لطاعته، والتزام منهجه وشرعه، وهو شرع الأنبياء، ودين الرسل الذي ارتضاه لعباده، وجعله أساس الاحتكام إليه، وطريق النجاة به يوم المعاد، فمن سلك طريقاً آخر - سوى ما شرعه الله - فلن يقبل منه قطعاً في الآخرة، وكان من الذين خسروا أنفسهم، وأضاعوا حياتهم في غير المفيد لهم⁽⁷⁾

(1) ركن الفتاوى فتاوى العقيدة، (2/1)، الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، (186/13).

(2) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير القرشي الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420 هـ - 1999 م، (354/4)

(3) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة. الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م، (500/15)

(4) سورة هود: 113.

(5) آل عمران: 85.

(6) تفسير القرآن العظيم، 25/2

(7) تفسير المنير في العقيدة والشرعية والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة: الثانية، 1418 هـ، (283/3)

يقول ابن القيم "فهؤلاء الأنبياء كلهم وأتباعهم، كلهم يذكر الله تعالى أنهم كانوا مسلمين، وهذا مما يبين أن قوله تعالى {ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين} (1) وقوله {إن الدين عند الله الإسلام} (2) لا يختص بمن بعث إليه محمد - صلى الله عليه وسلم - بل هو حكم عام في الأولين والآخرين.

ولهذا قال تعالى {ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلاً} (3) وقال تعالى {وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيتهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون} (4) (5) ومن صور المداينة التي يقع فيها المتحاورون في وحدة الأديان.

تسمية المعابد والكنائس بيوت الله. وقد سئل شيخ الاسلام عن تسمية البيوت بيوت الله في مجموع الفتاوى "ليست البيوت والكنائس بيوتاً لله، وإنما بيوت الله المساجد، بل هي بيوت يكفر فيها بالله، وإن كان قد يذكر فيها، فالبيوت بمنزلة أهلها، وأهلها الكفار، فهي بيوت عبادة الكفار" (6)

لكن تلك المداينة المحرمة، هي ما رافقه الحكم بإيمان أهل الملل وتسويغ معتقداتهم، أو حتى الارتياح في ثبوت كفرهم وبطلان عقائدهم وعباداتهم، فإن الشك في كفرهم وفساد مذهبهم كفر مخرج من الملة (7) ومن الضروري أن نفرق - في هذا الباب - بين وحدة الدين ووحدة الأديان، إذ وحدة الأديان دعوة للتلفيق بين الأديان المحرفة بما أضافه إليها البشر، فهو يهدف لصهر الحق في الباطل للوصول إلى صيغة مشتركة تجمع بينهما.

أما وحدة الدين فهي حقيقة لا مناص منها، إذ الدين الذي أرسل الله به جميع رسله دين واحد، هو الاستسلام لله وتوحيده جل وعلا.

فهذه لباب دعوة الأنبياء ومحورها، وعليه نستطيع القول: أن الإسلام والاستسلام لله هو دين الله الوحيد. قال تعالى: {ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين} (8) (9)

(1) آل عمران: 85

(2) آل عمران: 19

(3) النساء: 125

(4) البقرة: 111 - 112

(5) أحكام أهل الذمة، ابن القيم، تحقيق: يوسف البكري وشاكر العارمي، ط1، دار رمادي للنشر، 1418 هـ (1/374)

(6) مجموع الفتاوى (22 \ 162)

(7) الحوار مع أتباع الأديان - مشروعيته وآدابه، منقذ بن محمود السقار، الناشر: رابطة العالم الإسلامي، (1/40)

(8) آل عمران: 85.

(9) الحوار مع أتباع الأديان - مشروعيته وآدابه، (1/43).

وشريعتنا الإسلامية تدعو إلى دعوة أهل الكتاب وغيرهم، ومناقشتهم والتحاور معهم بالتي هي أحسن، لفهم هذا الدين واعتناقه، وهذه الطريقة من أفضل الطرائق، وأنجع الأساليب، لبيان هذا الدين ومعالمه السامية، بل واجب على المسلمين سلوك هذا الطريق، للوصول الدعوة وإقامة الحجة.

وقد أرسل الله محمداً خاتم الرسل، داعياً إلى الله ومبشراً بدينه، آمراً إياه بدعوة العالمين إلى هذا الدين. قال تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) ⁽¹⁾

وقد اعتبر العلماء المجادلة والمناظرة والحوار، من واجبات الإسلام التي أوجبها الله على أهل العلم والبصيرة، واستدلوا بما سبق ذكره من نصوص قرآنية، تحدثت عن أمر في سياق حديثه عن قول الله تعالى (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) " والدعاء إلى سبيل الله الرب بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ونحو ذلك مما أوجبه الله على المؤمنين، فهذا واجب على الكفاية منهم. وأما ما وجب على أعيانهم، فهذا يتنوع بتنوع حاجتهم ومعرفتهم " ⁽²⁾ ومن الأدلة - التي استدل بها ابن حزم، على وجوب الجدل والحوار والمناظرة بما صح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قوله تعالى (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وأنفسكم) ⁽³⁾

ويقول " وهذا حديث في غاية الصحة، وفيه الأمر بالمناظرة وإيجابها كإيجاب الجهاد والنفقة في سبيل الله " ⁽⁴⁾

ونستخلص مما سبق بيانه: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان مأموراً بالصدع بإظهار العقيدة الصحيحة، وعدم المصانعة في إظهار العقيدة الصحيحة في وجه العقيدة الباطلة وعبادة الأوثان التي اتخذوها من دون الله عز وجل.

ومن فعل شيئاً من ذلك فهو آثم؛ لأنه من المداينة في دين الله، ومن أسباب تقوية نفوس الكفار وفخرهم بدينهم.

وعليه، فإن حوار وحدة الأديان - الذي يهدف إلى إزالة الفوارق، والاختلافات العقائدية والشعائرية بين المتحاورين، وتمييع خصائص الأديان وتجاوزها اتجاه وحدة الأديان والتقريب بينها - ليس سوى دعوة

(1) النحل: 125.

(2) درء تعارض العقل والنقل (1 / 51 - 52).

(3) رواه أبو داود ح (2504)، وأحمد ح (11837)، والنسائي ح (3096)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود ح (2186).

(4) الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم، (1 / 27)

قديمة متجددة، ترعاها مؤسسات الغزو الثقافي الأجنبي، من مختلف الملل والنحل المعادية للعقيدة الصحيحة.

وليبيان الإسلام، وإظهار الحق، يجب سلوك الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن: فيرى العلماء أن أسلوب الحوار من أفضل أساليب الدعوة، بل يراه بعضهم أنجع من غيره ومن وسائل حماية الدعوة، كالجihad في سبيل الله.

قال العلامة ابن حزم حول معنى هذه الآية (وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)⁽¹⁾

إذ قد تُهزم العساكر الكبار، والحجة الصحيحة لا تُغلب أبداً؛ فهي أدعى إلى الحق، وأنصر للدين من السلاح الشاكي والأعداد الجمة، لأن السيف مرة لنا، ومرة علينا، وليس كذلك البرهان، بل هو لنا أبداً، ودماغ لقول مخالفينا، ومزهق له أبداً. ورُبَّ قوة باليد قد دمغت بالباطل حقاً كثيراً، فأزهقته ... وقد قتل أنبياء كثير وما غلبت حجتهم قط " (2) (وإن تَلُؤُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)⁽³⁾

ومن هنا يتبين لنا أن دعوة الأنبياء والرسول - مع أقوامهم - كانت مرتكزة على الدعوة والمجادلة والتحاوُر بالتي هي أحسن، لدعوتهم إلى طريق الإسلام بعبادة الله وحده، وهي عقيدة رسل الله وأنبيائه،

يقول ابن قيم الجوزية " فهؤلاء الأنبياء كلهم وأتباعهم، كلهم يذكر الله تعالى أنهم كانوا مسلمين، وهذا مما يبين أن قوله تعالى (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)⁽⁴⁾ وقوله (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)⁽⁵⁾ لا يختص بمن بعث إليه تعالى (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا)⁽⁶⁾، " (7)

وقال شيخ الإسلام " فدين الأنبياء واحد وهو دين الإسلام، كلهم مسلمون مؤمنون، كما قد بين الله في غير موضع من القرآن، لكن بعض الشرائع تتنوع (8)

(1) النحل: 125

(2) الحوار مع أتباع الأديان - مشروعيته وآدابه، (ص: 26 - 27)

(3) النساء: 135

(4) آل عمران: 85

(5) آل عمران: 19

(6) النساء: 125

(7) أحكام أهل الذمة (374/1)

(8) مجموع الفتاوى (35 / 364)

وصدق الله العظيم، وهو يربط رسالته الخاتمة برسالاته السابقة: قال تعالى (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) (1) (2)

المبحث الثاني:

إظهار عدالة الإسلام وصلاحيته بسلامة العقيدة الإسلامية

أولاً.. تعريف العدل لغة:

العدل: ضد الجور، وما قام في النفوس أنه مستقيم، وعدل الحكم تعديلاً: أقامه (3) وتأتي العدالة: في اللغة أيضاً بمعنى: الاستقامة (4) وهو ضد الجور (5) والعدل مصدر بمعنى العدالة وهي الاعتدال والثبات على الحق (6)

ثانياً.. تعريف العدل اصطلاحاً:

هو: عبارة عن الاستقامة على طريق الحق؛ بالاجتناب عما هو محظور ديناً. وكذا العدل هو: عبارة عن الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، وفي اصطلاح الفقهاء: من اجتنب الكبائر، ولم يصر على الصغائر، وغلب صوابه، واجتنب الأفعال الخسيسة، كالأكل في الطريق والبول، وقيل: العدل، مصدر بمعنى: العدالة، وهو الاعتدال والاستقامة، وهو الميل إلى الحق. (7)

وقال ابن عاشور في تعريف العدل "أنه تمكين صاحب الحق بحقه بيده أو يد نائبه، وتعيينه أنه قولاً، أو فعلاً" (8)

ونستخلص مما سبق: أن هناك اشتراكاً بين المعنى اللغوي والاصطلاحي، في كون العدل وسطاً بين أمرين، دون أن يطغى أحدهما على الآخر.

كما يتضح: أن هناك اتفاقاً بين التعريفات الاصطلاحية، وهي أن العدل: ضد الظلم والجور، وكذا إيصال الحقوق إلى أهلها بالعدل.

(1) الشورى: 13

(2) . مجموع الفتاوى (35 / 364)

(3) القاموس المحيط، الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م، (1030)

(4) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ)، لمحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، (109/1)

(5) لسان العرب، لابن منظور، (430/11)

(6) الحدود الأثيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: 926هـ)، المحقق: د. مازن المبارك، الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت، الطبعة: الأولى، (73/1)، 1411

(7) كتاب التعريفات، (للرجاني، 147/1)

(8) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ابن عاشور، تونس دار سحنون، الطبعة الرابعة، (175/1)

ثانياً: الأدلة على وجوب إقامة العدل:

1- قال تعالى " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا"(1)

وهذا يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان من حقوق الله عز وجل على عباده من: الصلوات والزكوات والصيام والكفارات والنذور.. وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه ولا يطلع عليه العباد. ومن حقوق العباد بعضهم على بعض كالودائع، وغير ذلك مما يأتون به بعضهم على بعض، من غير اطلاع بينة على ذلك، فأمر الله عز وجل بأدائها، فمن لم يفعل ذلك في الدنيا أخذ منه ذلك يوم القيامة(2) أجمعوا على أن من كان حاكماً وجب عليه أن يحكم بالعدل(3) وهذا الإجماع استنبطه من مجموع آيات القرآن الكريم.

وكذا هذا أمر عام بأداء الأمانات إلى أهلها، لكل مسلم في كل أمانة في ذمته أو تحت يده. ويتناول كل ما يؤتمن عليه الإنسان، سواء أكان ذلك في حق نفسه، أم في حق غيره من العباد، أم في حق ربه.. فرعاية الأمانة في حقوق الله: امتثال أوامره، واجتناب نواهيه، واستعمال مشاعره وأعضائه فيما يقربه من ربه(4)

والعدل: أساس الملك، وأمر تفضيه الحضارة والعمران والتقدم، وتشيد به كل العقول، وأصل من أصول الحكم في الإسلام. ولا بد للمجتمع منه حتى يأخذ الضعيف حقه، ولا يبغي القوي على الضعيف، ويستتب الأمن والنظام، وأجمعت الشرائع السماوية على وجوب إقامة العدل، فعلى الحاكم وأتباعه من الولاة والموظفين والقضاة التزام العدل؛ حتى تصل الحقوق لأهلها، وقد وردت آيات وأحاديث كثيرة في الأمر بالعدل، منها قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ)(5) ومنها (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ)(6) ومنها (اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ)(7)

هو فعل كل مفروض من عقائد وشرائع، وسير مع الناس في أداء الأمانات، وترك الظلم، والإنصاف، وإعطاء الحق(8)

(1) النساء: 58

(2) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، (298/2)

(3) مفاتيح الغيب، (113/10)

(4) تفسير المنير، (123/5)

(5) النحل، 16، 90

(6) الأنعام: 152

(7) المائدة: 10

(8) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: 1224هـ) المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر:

الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة الطبعة: 1419 هـ، (72/4)

2- قوله تعالى (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا) (1) أي: لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل في كل أحد صديقاً كان أو عدواً، ولهذا قال عدلوا هو أقرب للتقوى أي عدلكم أقرب إلى التقوى من تركه (2)

3- وقد استدلل بقوله تعالى (وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (3) على أن حكام المسلمين مخيرون بين الأمرين. وقد أجمع العلماء على أنه يجب على حكام المسلمين، أن يحكموا بين المسلم والذمي إذا ترافعا إليهم (4)

4- ومن صور العدل مع الغير - حتى ولو كانت هناك شحناء - قوله سبحانه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا) (5) أنه لا يجوز أن تكون هذه البغضاء والشحناء سبب لتجاوز قيمة العدل.

وعن ابن عباس - رضي الله عنه - قال (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ)، أي: لا يحملنكم (شَنَاٰنُ قَوْمٍ) أي: بغض قوم. وقوله (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ) فيهم؛ فإنما العدل لله في الرضا والسخط (اعْدِلُوا) يقول: قولوا العدل بالحق؛ فإنه أقرب للتقوى.

وقوله عز وجل (اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) أي: اعدلوا هو التقوى كقوله تعالى (إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) (6) أي: رحمة الله للمحسنين؛ لأن العدل ليس إلا التقوى (7)

والحكم بين الناس بالعدل، أمر قد انعقد عليه الإجماع، وتكرر ذكره في القرآن الكريم (8) ونستخلص مما سبق: أن نصوص الشريعة الإسلامية تحض على العدل، وتجعله واجباً من واجبات نظام الحكم في الإسلام، وتلزم الناس حكماً ومحكومين بإقامته. والخطابات في النصوص القرآنية والنبوية، لكل من يصلح لتلقي هذا الخطاب.

(1) المائدة: 10

(2) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، (56/3)

(3) المائدة: 42

(4) فتح القدير، (49/2)

(5) النحل: 125

(6) الأعراف: 56

(7) تأويلات أهل السنة، المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، (المتوفى: 333هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم،

الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1426هـ (3 / 476)

(8) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشئون

المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، (1393هـ - 1972م) - (1414هـ - 1992م) (2 / 836)

ولذا فقد جعل الله الإمام العادل أول السبعة الذين يظلمهم الله بظلمه يوم القيامة قال - صلى الله عليه وسلم - (سبعة يظلمهم الله في ظلمه يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل ...) ⁽¹⁾ فهذا دليل على مشروعية العدل ومكانته السامية عنده سبحانه وتعالى ⁽²⁾

المبحث الثالث:

توظيف الطرائق الشرعية والوسائل الحديثة لمحاربة الغزو الثقافي المعاصر

إن أهم ما يواجه عصرنا الحديث والمعاصر، ويهدد عقيدة المسلمين، ولغتهم وحضاراتهم وتاريخهم، وتراثهم الإسلامي.. ما يسمى بالغزو الثقافي. وهذا ما خطط له الأعداء - وما يزالون - وذلك بتخطيطهم بشتى الأنواع والأساليب والطرائق المتنوعة؛ لإضعاف الأمة الإسلامية، والسعي الحثيث لتجريدتها من عقيدتها الصحيحة السامية، وتشويه معالم الإسلام الكبرى، ومحاولة السعي للقول بوحدة الأديان للقضاء على الإسلام والمسلمين. وقد تم هذا تحت وسائل وأدوات تأليف الكتب، وعبر إذاعات وقنوات وندوات ومؤتمرات وصحف ومجلات - بل عبر التواصل الاجتماعي - وغيرها من الوسائل، وأصبحت اليوم هيئات ومنظمات مؤسسات ترعى ذلك، ما أدى إلى ظهور وقفات من هذا الغزو في بعض البلدان الإسلامية، وظهرت مؤسسات علنية - وبعضها سرية - للإسهام وبيان الحق، ونشر المخططات الخفية، إلا أن الاستعمار يدفع هذا كله عن طريق القوة، لهوان الشعوب وضعفها.

وفيما يأتي، سأشير إلى أهم مفاصد الغزو الثقافي الحديث والمعاصر، المستهدف للمسلمين، وأجياله الصاعدة، ثم أقوم ببيان أهم الطرائق والحلول والعلاج، لمحاربة هذا الغزو الثقافي من واقع عقيدتنا وشريعتنا وحياتنا العملية.

أولاً.. أهم مفاصد الغزو الثقافي الحديث والمعاصر:

1 - السعي لتشويه وتشكيك العقيدة الإسلامية، وكذا مصادر التشريع الإسلامي وتراثه بشتى الوسائل والأسباب والطرائق المختلفة الماكرة.

(¹) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، حديث رقم (660) ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، حديث رقم: (1031)

(²) انظر: مفهوم العدل والمساواة في الفقه السياسي لابن عاشور، عبد الحميد ظفر الحسن، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية - المجلد: 17، العدد: 2 (ص: 157 - 158)

- 2 - إحياء الأفكار الهدامة، والصراعات المذهبية، والأساطير القديمة لتشويه الإسلام وأهله.. وأنه دين خرافة وصراع وحروب وقتل، وتقريبه للناس في قالب جميل مزخرف، ما يؤدي إلى تقبل هذا التراث المنحرف، وإظهار جيل جاهل لا يهتم إلا بمصالحه المادية وبشهواته الجنسية.
- 3- غرس الهزيمة النفسية أمام الأعداء في أفراد الأمة، وضعف الولاء والبراء، وترك جهاد العدو الطامع⁽¹⁾
- 4- إحياء دعوى حرية الرأي والانفتاح على الآخر، لجلب الأفكار الخبيثة.
- 5- تقليد الآخر، لتقبل الغزو الثقافي، لمحاولة الوصول بصحة هذه الأديان، وأنها لا تخالف ما جاء به ديننا الإسلامي الحنيف.
6. محاولة إطفاء نور الله، ومنها الضرورات الخمس، وأهمها حفظ الدين.
- 7 — استهداف المرأة المسلمة وإفسادها وجعلها سلعة للدعاية والإعلان؛ وذلك لإغواء شباب الأمة عن عقيدتها ومنهجها الرباني.
- 8- التخلي عن معالم أخلاقيات الأمة وسلوكياتها، وإضعاف الوازع الديني فيها.
- 9- إضعاف دور النصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأمة.
- 10- عدم تحكيم الشريعة الإسلامية والعمل بها، بل محاولة إبعادها عن الحياة العملية.
- 11- الاهتمام بتعليم الإسلام، واللغة العربية لأبناء اليهود والنصارى، ثم قيامهم بتعليم الطلاب المبتعثين في الجامعات، وتخصيص برامج تعليمية لهم عبر الإذاعات والقنوات، لضرب الإسلام والتشويه فيه، إضافة إلى تأليف الكتب ونشرها في أوساط المثقفين من أبناء المسلمين، ومحاولة السيطرة على مناهج التعليم في البلدان الإسلامية.
- 12- إغراء أبناء المسلمين ومحاولة إفسادهم أخلاقياً عن طريق المرأة؛ إذ نجدها قد دخلت مجالات الحياة، وجعلها وسيلة وسلعة عن طريق التواصل الاجتماعي، والفنادق والمطارات، واختلاط النساء بالرجال دون ضوابط شرعية.
- 13- إعداد إذاعات وقنوات (غير إسلامية) وإنشاء الكنائس في بلاد المسلمين، وتوزيع الأموال الكثيرة، وهذه كلها موجهة تدعو إلى التبشير والتنصير والعولمة والعلمانية والشيوعية، بل تحاول التحسين من

(1) الإسلام والليبرالية نقبضان لا يجتمعان، المؤلف: شحاتة محمد صقر، الناشر: دارالراشدين، دار الفتح = = = الإسلامي، (89/1).
وتراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، محمد الغزالي، (ص190، 200)، بتصرف كثير.

أهداف أفكارها؛ بغرض تشجيع الدخول فيها من أبناء المسلمين، خاصة الذين لم يفهموا الإسلام فهماً صحيحاً، وهذا ما نجده في البلدان الإسلامية، خاصة في البلدان الإفريقية⁽¹⁾ فهذه أهم الوسائل والمفاسد التي يسلكها أعداء الإسلام اليوم من الشرق والغرب، لنشر أفكارهم وأهدافهم الخبيثة. وفيما يلي سأبين الطرائق والعلاج لمحاربة هذه الوسائل.

ثانياً.. أهم الطرائق والحلول والعلاج لمحاربة الغزو الثقافي:

إن الناظر والمتأمل في وسائل الغزو الثقافي - التي ينشرها العدو، ويسعى لغرسها في أبناء المسلمين - نجد أن الأمر جد خطير، يحتاج من المسلمين إلى وقفة وعي وتأمل وإدراك، ودراسة للطرائق التي يجب أن يسلكوها؛ ما يجعلهم قادرين على دحرها وإبطالها، والله قادر على نصرهم وإعانتهم، لأن الله لا يصلح عمل المفسدين الماكرين بدينه. إننا نعيش في عصر كثرت فيه المفاسد والفتن والمغريات لتضييع هذا الدين؛ إذ وقع كثير من المسلمين ضحية لليأس والحيرة والشبهات في الدين، وكل هذا نتيجة بُعد المسلمين الله، ونسيان الآخرة، والانغماس في الملذات، والإقبال على الدنيا.. وغيرها من الأمور التي ظهر بسببها كثير من المعاصي والمنكرات، واشتداد الفتن الهادفة، التي ظهرت تحت مسمى الغزو الثقافي، لضياع الأمة، والقضاء على الدين.

ومع هذه الأمور كلها، فقد أرشدنا الشارع الحكيم، إلى التمسك والالتزام بالعقيدة الصحيحة - المبنية على منهج الكتاب والسنة الصحيحة - وفيها نجد الطرائق الواقية، والحامية من الانزلاق في مهاوي المخاطر والأضرار والمفاسد، والأفكار الهدامة.. وفي هذا المبحث سنبين كيفية الالتزام بالطرائق الشرعية، وتوظيف الوسائل الحديثة التي تقي الأمة، وتعصمها من التأثير من الغزو الثقافي وأضراره، وهي في النقاط الآتية:

- 1- العمل على نصر دين الله؛ لتحقيق النصر، وإبطال عمل المفسدين: قال عز وجل (وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرُكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) ⁽²⁾ لأنهم مفسدون وهو سبحانه لا يصلح عمل المفسدين، قال الله تعالى: (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) ⁽³⁾ وقال سبحانه (إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (15) وَأَكِيدُ كَيْدًا (16) فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُوَيْدًا) ⁽⁴⁾ وقال عز وجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) ⁽⁵⁾

(1) الإسلام والليبرالية نقيضان لا يجتمعان، المؤلف: شحاتة محمد صقر، (89/1-91). وينظر: نحو ثقافة إسلامية أصيلة، عمر سليمان الأشقر، (ص13-17). وأصول التربية الإسلامية، سعيد إسماعيل علي، (28-36). بتصرف كثير.

(2) آل عمران: 120.

(3) الأنفال: 30.

(4) الطارق: 15-17.

(5) محمد: 7.

- 2- الوعي العميق بالإسلام، وسيلة هامة مؤدية إلى معرفة خطر هذا الغزو الثقافي، وأنه أمر دخيل على الإسلام، وأن الإسلام ينكره ويرفضه، ويدعو لمواجهته بمختلف الطرق والوسائل.
- 3- استعمال جميع وسائل تكنولوجيا الحديثة التي يستخدمها العدو، من وسائل إعلام، وشبكات معلوماتية، وتواصل اجتماعي، مراعين فيها الضوابط الشرعية،
- 4 - عدم إغفال الحوار الهادئ الرصين - بكل وضوح وشفافية وصراحة - في تناول هذا الغزو، للإسهام في الحد منه، واقتلاع جذوره. وتوعية وتربية الأمة الإسلامية، على آداب دينها، وعقيدة ربها.
- 5- إنشاء المراكز العلمية، والجامعات والكليات، وتدريس العلوم بكافة أنواعها المتخصصة؛ للتقليل من الابتعاث إلى الخارج، والاهتمام بتدريس العلوم - بكافة أنواعها - والعلوم الشرعية، والاهتمام بها اهتماماً بالغاً؛ للرد على الشبهات، لتحسين الأمة والأجيال القادمة من هذا الفكر الدخيل.
- 6- الاهتمام بالتربية والتعليم، ومعرفة أحكام الشرع والدين، والتي هي يناط بها العلماء، وسؤال أهل الذكر، يقول الله تعالى (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) (1) ويقول ابن قيم الجوزية - رحمه الله - "ولما كان التبليغ عن الله يعتمد العلم بما يبلغ، والصدق فيه، لم تصح مرتبة التبليغ بالرواية والفتيا إلا لمن اتصف بالعلم" (2)
- 7- توطيد الألفة والمحبة في الله بين المؤمنين قال تعالى (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) (3) وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال (إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويسخط لكم ثلاثاً، وذكر منها: وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً) (4) وقال الله تعالى (أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) (5) ومما جاء في تفاسير العلماء - رحمهم الله تعالى - في هذه الآية "بعث الله الأنبياء كلهم بإقامة الدين، والألفة والجماعة، وترك الفرقة والمخالفة" (6)
- 8- الاهتمام بنشر الكتب العلمية، ودراستها دراسة تحليلية، وشرحها وفهمها عبر حلقات علمية، وفي المدارس والجامعات، وفي الإذاعات والقنوات، وعبر التواصل الاجتماعي؛ فإن ذلك من أهم الوسائل المعينة على علاج الغزو الثقافي.

(1) النحل: 43.

(2) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية (4/3). ونحو ثقافة إسلامية أصيلة، عمر سليمان = الأشقر، (ص13-17). وأصول التربية الإسلامية، سعيد إسماعيل علي، (28-36). بتصرف كثير.

(3) آل عمران: 103.

(4) أخرجه مسلم في صحيحة، رقم: (4578).

(5) الشورى: 13.

(6) تفسير روح المعاني والسبع المثاني، لشهاب الدين محمد بن عبد الله الحسيني الألويسي، (223/4)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط 4، 2009م، وانظر: تفسير زاد المسير، لابن الجوزي، (234/4)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط 3، 1404هـ.

9- أسلوب التدرج في نصح أهل الشبهات، والفكر المنحرف. فالنصيحة لها مكانة عظيمة في دين الإسلام، وما من نبي إلا وقد نصح أمته، وفي ذلك آيات كثيرة، ونصوص عديدة، منها ما أخبر تعالى عن صالح - عليه السلام - لقومه (يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ) ⁽¹⁾

10- السعي لنصح ولاية الأمور، وإخبارهم بما وصل إليه أصحاب هذا الفكر؛ حتى يكونوا على دراية من هؤلاء، ليعالج أمرهم، وهذا يحد من نشر فكرهم، الذي يدعو إلى حمل السلاح على ولاية الأمور، ومما يعين أيضا في إفساد مخططاتهم ⁽²⁾

11- الاجتماع ونبذ الفرقة من أكبر الطرائق الواقية المنجية، والعاصمة من الفتن، والتي منها، وضع الشبهات في دين الله، ومحاولة تشكيكه. وما نمت بذور الفتن إلا في الفرقة والخلاف، ويكون الاعتصام والتوحد بالاجتماع على دين الله، عقيدة ومنهجاً وعملاً وسلوكاً، على ما كان عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه من أمور الاعتقاد وأصول العمل. خطبنا عمر - رضي الله عنه - فقال " عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، ومن أراد بحبوة الجنة فليزلم الجماعة" ⁽³⁾ وعن النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (الجماعة رحمة والفرقة عذاب) ⁽⁴⁾ ⁽⁵⁾ وقال الله تعالى (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) ⁽⁶⁾ ويقول (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) ⁽⁷⁾

12- الفرار إلى الله، والاعتصام به، كما أمر سبحانه بذلك في كتابه فقال (فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ) ⁽⁸⁾ يقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - في هذه الآية " أي: الفرار مما يكرهه

(1) الأعراف: 79

(2) انظر: تفسير زاد المسير، لابن الجوزي، (234/4 وغيرها). ومذكرات مناهج في الشرق العربي، لأبي الحسن الندوي، (ص14، 15، 17) تحقيق: مجلة العربي، العدد: (665)، العقل العربي، بتصرف كثير. وانظر: ثقافتنا بين = الانفتاح والانغلاق، د. يوسف القرضاوي، (ص61-64)، ط2، دار الشروق، القاهرة، 2005م. بتصرف كثير. وانظر: دفاع عن السنة، محمد حمادي بوزيد، ص7، ت11، دار الساقية، بنغازي، ليبيا، 2006م

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب: الحج مرة في العمر، رقم: (337)

(4) أخرجه أحمد في المسند من حديث النعمان بن بشير - رضي الله عنهما -، برقم: (18640)، صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، (276/2)، رقم: (667)

(5) (إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية، (70-80/3)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، 1997م، وانظر: عقيدة أهل السنة والجماعة، د. سعيد بن مسفر القحطاني، (ص442)، دار طيبة الخضراء، ط1، 1422هـ - 2001م. ومذكرات مناهج في الشرق العربي، لأبي الحسن الندوي، (ص14، 15، 17)، العدد: (665)، بتصرف كثير. وانظر: ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، د. يوسف القرضاوي، (ص61-64)، بتصرف كثير. وانظر: دفاع عن السنة، محمد حمادي بوزيد، ص7، ت11)

(6) آل عمران: 103

(7) آل عمران: 105

(8) الذاريات: 50.

الله - ظاهراً وباطناً - إلى ما يحبه ظاهراً وباطناً؛ فراراً من الجهل إلى العلم، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن المعصية إلى الطاعة، والغفلة إلى الذكر، فمن استكمل هذه الأمور فقد استكمل الدين كله " (1) وذلك وسيلة لمواجهة ما ظهر من غزو العالم في العصر الحديث والمعاصر، لمحاولة القضاء على الإسلام وأهله.

13- الاعتصام بالله، والاحتفاء به، وسؤاله التثبيت من الفتن، قال الله تعالى (يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) (2) فالتثبيت كان لإيمانهم، وكلما امتلأ القلب من توحيد الله والإيمان به، واللجوء إليه، كان للأدعية ونطقها باللسان أثرها العظيم في عصمة الله لعبده الداعي، ووقايته له من الفتن وشروها. وبقدر ما يكون في القلب من توحيد الله، يكون الأمن من المخاوف والشرور والفتن، قال الله تعالى (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) (3)

وقد أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بالاستعاذة من الفتن في الصلاة ، فقد أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس - صلى الله عليه وسلم - بالاستعاذة من الفتن في الصلاة، فقد أخرج البخاري ومسلم - عن ابن عباس، رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن (اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال)(4) وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال (تعوذوا بالله من الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، قلنا : نعوذ بالله من الفتن ، ما ظهر منها وما بطن) (5)

14- دوام التقوى والعمل الصالح، حيث بين الله - سبحانه وتعالى - في كتابه أثر التقوى في تيسير الأمور، والخروج من الفتن والمفاسد في الدين ومحاربتها، ومحاولة النيل منه، قال الله تعالى

(1) تفسير السعدي والمسمى تيسير الكريم الرحمن، للعلامة / عبد الرحمن السعدي، (ص 327)، دار السنة، ط 1، 1425 - 2005م، وانظر: تفسير أبي السعود، المسمى: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، (65/2)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2009م، وانظر: تفسير السيوطي المسمى بالدر المنثور، لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، (232/4)، دار الفكر، بيروت، 1993م، والتفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي، (34/1)، مكتبة وهبة، ط 2، 2001م

(2) إبراهيم: 27

(3) الأنعام: 82

(4) أخرجه مسلم في كتاب المساجد (5)، باب: ما يستعاذ منه في الصلاة، برقم: (558)

(5) أخرجه مسلم في كتاب الجنة (51)، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر، والتعوذ منه، برقم: (2867)

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) ⁽¹⁾ والنبي - صلى الله عليه وسلم - يوصي ابن عباس بقوله (احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجاه تجاهك) ⁽²⁾ فالعمل الصالح، وكثرة العبادة، لها أثر عظيم في الوقاية من: الفتن والمزالق والأضرار والمفاسد.. قبل وقوعها، والنجاة منها بعد نزولها، ولذلك يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - (بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً، ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل) ⁽³⁾

ونستخلص مما سبق بيانه: أن معالجة وسائل الغزو الثقافي، تتطلب العودة إلى العقيدة الصحيحة، وتجاوز كل ما يتعارض مع كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وفهم سلف الأمة، واعتبار أن الإسلام هو الدين المقبول عند الله وما سواه فهو باطل. ثم الفهم الأعظم والأشمل والأوسع للإسلام، بناء قيم الأخوة والتعاون، ما يوصل إلى محاربة كل وسائل الغزو الثقافي: بكل طرائقه وأساليبه الحديثة والمعاصرة، وفهم هذا الدين بأبعاده القيمة والأخلاقية والإنسانية. أضف إلى ذلك التأكيد على الحوار والمناظرة والمناقشة - بالتي هي أحسن - وتكراره بين الحين والآخر، وعدم إغفاله، بل اعتماده كوسيلة لفهم هذا الدين، ومحاربة وسائل تشويه الإسلام والمسلمين، فهذا كله مما يسهم في علاج الغزو الثقافي، والقضاء عليه.

(¹) الطلاق: 2، 3

(²) أخرجه الترمذي في كتاب: صفة القيامة، برقم: (2516)، وقال: حديث حسن صحيح

(³) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، برقم: (118)

المبحث الرابع:

بيان الغاية من وجود الإنسان في الحياة الدنيا

إن المتأمل في النصوص القرآنية والنبوية الصحيحة، والتشريعات الإسلامية في مختلف نواحي الحياة يدرك إدراكاً جلياً، أن هذه كلها تهدف إلى هداية الإنسان في حياته الدنيا إلى أقوم سبيل، وتبين المعنى التي وجد من أجله.

فالغاية التي أنزلت من أجلها الكتب هي: أن يُعْبَدَ الله وحده لا شريك له، ولتكون منهج حياة للبشر تقودهم بما فيها من هداية إلى كل خير، وتحيي نفوسهم، وتنير لهم دروب الحياة.

وكذلك تدعو إلى مكارم الأخلاق والعدل بين الناس، ومحاربة الفساد، والانحراف الفكري والثقافي بكل صوره وألوانه، وتتفق مع التشريعات السماوية السابقة في بعض العقائد والأخلاق.

والعبادة في الإسلام لا تصح؛ إلا وفق ضوابط وشروط العقيدة الصحيحة التي دعا إليها جميع الرسل والأنبياء.

فبيان الغاية من خلق الإنسان هي عبادة الله قال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) (1)

فهذه الآية بينت الغاية التي من أجلها خلق الإنسان.

وعليه: فالحكمة من خلقه للخلق هي اختبارهم وابتلاؤهم؛ ليجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

فهذه هي الحكمة من خلقهم أولاً وبعثهم ثانياً.

ولذلك لم يتركهم هملاً، بل أرسل إليهم رسله، فكان من سنة الله تبارك وتعالى مواترة الرسل وتعميم الخلق

بهم، بحيث يبعث في كل أمة رسولا؛ ليقم هداه وحجته كما قال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ

اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} (2) وقال تعالى {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا

نَذِيرٌ} (3) وقال تعالى {ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا} (4) وقال تعالى {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى

(1) سورة الذريات (56، 57).

(2) سورة النحل: 36.

(3) سورة المؤمنون: 4.

(4) سورة النساء: 65.

اللَّهُ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا⁽¹⁾ فالرسل هم الواسطة بين الله عز وجل - وبين خلقه - في تبليغ أمره ونهيه، وإرشاد العباد إلى ما فيه صلاح معاشهم ومعادهم⁽²⁾

وما أَرْسَلَ اللَّهُ الرِّسْلَ إِلَّا لِتَوْحِيدِهِ وَعِبَادَتِهِ:

قال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}⁽³⁾
وما خلق الله في هذا الكون من شيء إلا لتوحيده وتسبيحه: قال تعالى {تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ}⁽⁴⁾

فالعبداء: هي حق الله على جميع مخلوقاته حق للخالق على المخلوق. ولكن الله فرض على كل نوع من مخلوقاته عبادة تناسب تكوينه " فالمادة " لها عبادة، والملائكة لها عبادة، والإنسان له عبادة تشترك جميعاً في أنها عبادة وأنها " سجود " وأنها " تسبيح " ولكن تختلف في الطريقة⁽⁵⁾

قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ}⁽⁶⁾

{تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ}⁽⁷⁾
ومما يخرج الإنسان من معالم العقيدة، أن يأتي باعتقاد أو قول أو فعل، يكون به خرج من العقيدة الصحيحة.

ولذا فإن من مقتضيات عقيدة المسلم الصحيحة المخالفة للعقائد والأفكار المعاصرة الهدامة:

1- الاعتقاد بصحة كل ما جاء في القرآن، من تشريعات وتوجيهات، وصدق النبي ﷺ، فيما أخبر، قال تعالى ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾⁽⁸⁾

2- نهي المسلم أن يحتكم إلى عقيدة وشريعة غير العقيدة والشريعة الإسلامية⁽⁹⁾

(1) سورة الأنبياء: 57

(2) تيسير الوصول إلى الثلاثة الأصول (41/1)، انظر: حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة، لمؤلف: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ/1997م، (10/1)، مجمل اعتقاد أئمة السلف، المؤلف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة: الثانية، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، تاريخ النشر: 1417هـ، مصدر الكتاب: موقع الإسلام، (4/1) التعصب المذهبي في التاريخ، الإسلامي خلال العصر الإسلامي الدكتور خالد كبير علال (134/1)

(3) الأنبياء: 25

(4) الإسراء: 44

(5) مذاهب فكرية معاصرة، (461/1)

(6) سورة الحج (22:18)

(7) سورة الإسراء (17، 44)

(8) (الزمر 33)

(9) انظر: الولاء والبراء، محمد سعيد القحطاني، دار طيبة، مكة المكرمة، الرياض، الطبعة السادسة، 1413هـ، ص 25-35 بتصرف كثير.

الاتباع والتسليم دليل على صدق الإيمان كما قال تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾⁽¹⁾ وهذا هو الجانب العملي. فلا يكفي مجرد الاحتكام إلى الرسول، إذا لم يكن في قلوبنا اعتقاد صحة هذا الحكم، والرضا به، والاطمئنان إليه⁽²⁾ ومن الأدلة على اعتقاد هذا الحكم قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾⁽³⁾

وهذه الآية تدل على أن الإيمان المقبول الصادق، هو الاعتقاد الذي لا يخالطه ريب، وهو العمل المتمثل في الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله.

فاعتقاد القلب لا يكفي لقبول الإيمان، فلقد كان إبليس معتقداً بالله، فقد جاء على لسانه في القرآن الكريم أنه قال (رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)⁽⁴⁾

ومع ذلك فقد وصفه الله بالكفر لتكبره عن عمل ما أمره الله به، قال تعالى (إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)⁽⁵⁾

وشروط قبول العبادة من العباد:

إن الله سبحانه وتعالى، لا يقبل من عباده أي عبادة؛ ما لم يلتزم صاحبها بالشروط الآتية:

أ - الإيمان: لا يقبل الله أي عمل إلا إذا كان صاحبه مؤمناً، ولذا لا يثيب الله الكافر على ما عمل، لأنه لم يقصد بعمله وجه ربه، قال تعالى (وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا)⁽⁶⁾ وقال تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ)⁽⁷⁾

ب - الإخلاص: فلا يقبل الله العبادة من أحد إلا إذا كانت خالصة له سبحانه، قال تعالى (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ)⁽⁸⁾

(1) النساء: 65.

(2) تعريف عام بدين الإسلام، المؤلف: علي بن مصطفى الطنطاوي (المتوفى: 1420 هـ)، الناشر: دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1409 هـ - 1989 م، (93/1).

(3) الحجرات: 15.

(4) ص، 97.

(5) البقرة: 34.

(6) الفرقان: 23.

(7) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي، ومسلم، كتاب الإمارة، باب قوله: إنما الأعمال بالنية.

(8) البينة: 6.

وقال تعالى (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ) (1)

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ...) (2)

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - (قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من

عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) (3)

وقال صلى الله عليه وسلم (إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان أشرك في

عمل عمله لله عز وجل فليطلب ثوابه من عند غير الله عز وجل، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك) (4)

وقال الفضيل بن عياض في قوله تعالى (... لِيَبْلُوكُمْ أَيَكُمُ أَحْسَنُ عَمَلًا ...) (5) أخلصه وأصوبه، فإنه إذا

كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً وصواباً،

والخالص أن يكون لله، والصواب إذا كان على السنة (6)

فالعبرة ليست شكلاً يتعلق بالمظهر، ولا رسماً يتصل بالجسد فحسب، ولكنها مع ذلك عمل قلبي وإخلاص

ينبع منه، لذلك كان الإخلاص شرطاً للقبول.

ج - الاتباع للكتاب والسنة: إن العبادة المقبولة هي التي تكون موافقة لما جاء به النبي صلى الله

عليه وسلم من ربه؛ لأن العبادة لله لا تكون صحيحة مقبولة، إلا بالامتثال لمراده المبين في الكتاب

والسنة، ومن عبده بما لا يشرعه فعبادته مردودة، لأنه لم يمتثل (7)

ونستخلص مما سبق: أن من أهم معالم حفظ عقيدتنا التبرية الإيمانية، وإعداد العدة، لدفع الأعداء من

الغزو إلى ديار المسلمين، لنشر أفكارهم الهدامة محاولة لضياح الإسلام وتشويه المسلمين.

قال العلامة/ عبدالكريم زيدان: والحقيقة أن دفع الأعداء عن دار الإسلام ضروري لحفظ الدين وبقائه؛

لأن استيلاء الكفرة على دار الإسلام، ضياح للإسلام وطمس لحقائه، وفتنة عظيمة للمسلمين عن

(1) الزمر: 11

(2) النور: 39

(3) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، واللفظ له

(4) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الكهف، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة، وأحمد في مسند المكثرين حديث أبي سعيد ابن أبي فضالة، وانظره في صحيح الترمذي، للألباني، (74/3)، رقم (3374)، وصحيح ابن ماجه، (410/2)، وصحيح ابن

حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (130/2)، رقم (404)، ط 3، مؤسسة الرسالة، 1418هـ - 1997م

(5) الملك: 2

(6) الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي، (ص 143)، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، ط 1، 1418هـ

- 1997م

(7) تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد/ محمد بن إسماعيل الصنعاني، (ص 143)، ط 1، 1412هـ، المكتبة الثقافية بيروت، لبنان. والدر

النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، محمد بن علي الشوكاني، ص (124)، تخريج وتعليق: أبو عبد الله الحلبي، دار ابن خزيمة، ط 1، 1414هـ

دينهم الحق بالوعد والوعيد، والتلبيس والخداع والتضليل.. بل نستطيع القول: أن من لوازم وتام حفظ الدين إعلاءه وإظهاره على جميع أنظمة الكفر؛ حتى لا يبقى للباطل حكم قائم ولا راية مرفوعة⁽¹⁾

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخراً، وأشكره شكراً يليق بجلاله وكماله ونعمائه، كما أحمده أن أعانني على إكمال هذا البحث، وتنميماً للفائدة سأسرد أهم النتائج والتوصيات التي خلصت منها، وهي على النحو الآتي:

أولاً.. أهم نتائج البحث:

- 1- المداهنة: تعني المصانعة واللين وترك الدين.
- 2- واجب علماء الإسلام ومراكز الأبحاث، توظيف وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة والمعاصرة، وكذا على الجامعات الفقهية التصدي للغزو الثقافي الأجنبي بجميع صوره وأشكاله، التي تدعو لوحدة الأديان بهدف تجميع الدين الإسلامي الحنيف.
- 3- مواجهة الشبهات الحديثة والمعاصرة المستهدفة لفئات المجتمع بمنهجية مدروسة، تفند دسائس أعداء الأمة عبر الشبكات المعلوماتية الحديثة والمعاصرة التي غزت كل بيت.
- 4- أفضل وسائل الدفاع عن عقيدة الإسلام إعداد برامج ووسائل إسلامية، تسهم في تعريف العالم بالدين الإسلامي، وتربية الأطفال التربية السليمة.
- 5- إيجاد ألعاب ومسابقات وبدائل يستفيد منها أطفال العالم، عبر شبكات التواصل الحديثة المعاصرة بهدف تسويق الثقافة الإسلامية.
- 6- التعريف بأن الشريعة الإسلامية قادرة على مسايرة المستجدات والمتغيرات والنوازل العصرية؛ لأنها صالحة لكل زمان ومكان، لأن منزلها يعلم السر وأخفى.
- 7- الشريعة الإسلامية جاءت بالعدل والمساواة بين الناس جميعاً على مختلف ألوانهم، وأنها رسالة عالمية إلى قيام الساعة.
- 8- إن الدين الوحيد المقبول عند الله هو دين الإسلام، ولا يقبل الله ديناً سواه.

(¹) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، (139)، مؤسسة الرسالة، ط، 9، 2001م

9- القرآن دعا إلى الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن، لقصد التعريف بالإسلام لا المداهنة فيه.

ثانياً.. التوصيات:

- 1- نوصي الدولة - ممثلة بوزاتي الإعلام والثقافة - بالاهتمام بواقع العالم وحاضره دينياً، فقد أصبح العالم يعيش ثورات التكنولوجيا الحديثة المعاصرة للمعلومات.
- 2- كما نوصي الجامعات والمراكز والمؤسسات العلمية، بإعداد المؤهلين المتميزين في عقائدهم الإسلامية، لإيجاد المواد الإعلامية وأسلمتها.
- 3- وكما نوصي العلماء والدعاة والمثقفين، بالقيام بواجبهم نحو عقيدتهم والتعريف بمبادئها وأحكامها العادلة لجميع البشر والكون كله.

قائمة المصادر والمراجع.

1. القرآن الكريم
- المصادر والمراجع الأخرى مرتبة على الحروف الأبجدية
2. تعريف عام بدين الإسلام، المؤلف: علي بن مصطفى الطنطاوي (المتوفى: 1420هـ)، الناشر: دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1409 هـ - 1989
3. تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي (المتوفى: 1205هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين الناشر: دار الهداية.
4. تاج اللغة وصحاح العربية.. للجوهري، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت. الطبعة: الرابعة - يناير 1990.
5. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ.
6. الولاء والبراء، محمد سعيد القحطاني، دار طيبة، مكة المكرمة، الرياض، الطبعة السادسة، 1413هـ.
7. التعصب المذهبي في التاريخ، خلال العصر الإسلامي: الدكتور: خالد كبير علال.
8. مجمل اعتقاد أئمة السلف، المؤلف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة: الثانية، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، تاريخ النشر: 1417هـ، مصدر الكتاب: موقع الإسلام.
9. الحوار مع أتباع الأديان - مشروعيته وآدابه، منقذ بن محمود السقار، الناشر: رابطة العالم الإسلامي.

10. الإسلام والليبرالية نقيضان لا يجتمعان، المؤلف: شحاتة محمد صقر، الناشر: دار الخلفاء الراشدين، دار الفتح الإسلامي
11. سنن الدارقطني (المتوفى: 385هـ)، ت: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان. الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2004 م.
12. حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة، لمؤلف: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ/1997م.
13. القاموس المحيط، للفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ—)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة
بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م.
14. التعريفات، للجرجاني (المتوفى: 816هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت: لبنان، الطبعة: الأولى 1403 هـ - 1983م.
15. مجمل اللغة لابن فارس (المتوفى: 395هـ—)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية - 1406 هـ - 1986 م.
- مجموع الفتاوى لابن تيمية، ت، أنور الباز، وعامر الجزار: دار الوفاء، الطبعة: الثالثة، 1426 هـ / 2005 م. + طبعة مجمع الملك فهد لطباعة، عام النشر: 1416هـ/1995م.
16. مختار الصحاح، للرازي (المتوفى: 666هـ—)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، 1420 هـ / 1999م.
17. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ—)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
18. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770هـ)
الناشر: المكتبة العلمية - بيروت. بدون طبعة وتاريخ.
19. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية.

20. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - الطبعة طبعة جديدة، 1415 - 1995، تحقيق: محمود خاطر.
21. معجم لغة الفقهاء د. محمد قلجعي، دار النفائس للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - 1405 هـ - 1985 م -.
22. أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، الطبعة: الأولى، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، تاريخ النشر: 1421 هـ. مصدر الكتاب: موقع الإسلام
23. الحدود الأنيفة والتعريفات الدقيقة، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: 926 هـ)، المحقق: د. مازن المبارك، الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت، الطبعة: الأولى،
24. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094 هـ)، لمحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.
25. معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس (المتوفى: 395 هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399 هـ - 1979 م.
26. إكمال المعلم شرح صحيح مسلم - للقاظي عياض، للقاظي عياض.
27. الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت. تفسير
28. لسان العرب: ابن منظور، الناشر: دار صادر - بيروت.
29. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، دار النشر: دار إحياء التراث العربى - بيروت - 2001 م، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمد عوض مرعب
30. المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، "الأبي عمر القرطبي، بدون ط.
31. أحكام أهل الذمة، ابن القيم، تحقيق: يوسف البكري وشاكر العارومي، ط1، دار رمادي للنشر، 1418 هـ..
32. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ابن عاشور، تونس دار سحنون، الطبعة الرابعة.
33. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر : دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة : الثانية ، 1418 هـ.
34. التحرير والتنوير. لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي، مؤسسة التاريخ، ط. الأولى، سنة 1420 هـ.
35. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: 1224 هـ) المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة الطبعة: 1419 هـ

36. جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة. الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.
37. تفسير القرآن العظيم (الطبعة المعتمدة) للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تقديم: الدكتور يوسف المرعشلي، دار المعرفة، سنة 1413 هـ.
38. التفسير المنير: وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر مكان الطبع: بيروت دمشق، سنة الطبع: 1418 ق
39. مفاتيح الغيب، الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - 1421 هـ - 2000 م، الطبعة: الأولى.
40. أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط 9، 2001 م.
41. الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، ط 1، 1418 هـ - 1997 م.
42. تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، محمد الغزالي، ط 6، جار الشروق، 2007 م.
43. مباحث في الفكر والثقافة الإسلامية، محمد عزالدين، ط 1، 2010 م، جمعية الدعوة الإسلامية العامة، طرابلس، ليبيا.
44. أصول التربية الإسلامية، سعيد إسماعيل علي، ط 1، 2005، دار السلام، مصر.
45. نحو ثقافة إسلامية أصيلة، عمر سليمان الأشقر، ط 12، دار النفائس الأردن، 2002 م.
46. الوافي في الثقافة الإسلامية، د. أحمد يعقوب، صنعاء، الدائري، مركز المتفوق للطباعة والنشر، مكتبة الصادق، 207 م.
47. تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد: محمد بن إسماعيل الصنعاني، ط 1، 1412 هـ، المكتبة الثقافية بيروت، لبنان.
48. الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، محمد بن علي الشوكانبي، تخريج وتعليق: أبو عبد الله الحلبي، دار ابن خزيمة، ط 1، 1414 هـ.
49. تفسير السعدي والمسمى تيسير الكريم الرحمن، للعلامة: عبد الرحمن السعدي، (ص 327)، دار السنة، ط 1، 1425 - 2005 م.
50. التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، ط 2، 2001 م.
51. تفسير السيوطي المسمى بالدر المنثور، لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، 1993 م.

- 52 تفسير أبي السعود، المسمى: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2009م،
- 53 مذكرات مناهج في الشرق العربي، لأبي الحسن الندوي، تحقيق: مجلة العربي، الدد: (665)، العقل العربي.
- 54 دفاع عن السنة، محمد حمادي بوزيد، دار الساقية، بنغازي، ليبيا، 2006م.
- 55 ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، د. يوسف القرضاوي، ط2، دار الشروق، القاهرة، 2005م.